

أثر القرآن والحديث في المقامات للحريري

محمد انس*

محمد ناصر مصطفى**

Abstract

In the second half of the tenth century, a new literary genre appeared. This was known as Maqama "assemblies" - amusing anecdotes narrated by a vagabond who made his living by his wits. The Maqamah was invented by Badi' al Zaman al-Hamadhani (d. 1008); only fifty-two of his original four hundred Maqama have survived. Al-Hariri (d. 1122) elaborated upon this genre and stereotyped it, using the same format and inventing his own narrator and roguish hero. The popularity of the Maqama was eclipsed by the rise of modern Arabic." Maqama is a unique genre of Arabic literature. It is also called "rhymed prose" in a highly finished style. AL- Harare a famous writer of the Fifth Islamic century is known for introducing Maqama to Arabic Literature. Al-Harare has a unique place in Arabic Literature. It is evident after deeply studying his Maqamas that he frequently utilizes *Qur'an* and *Hadith* words, quotations and concepts. The Study of Maqamas by Al-Harare shows that he has great inspiration from the Islamic history literature Islamic worships, beliefs, personalities and especially vocabulary of Holy *Qur'an* and *Hadith*. One of the important aspects of his "Maqama" is that he has benefited a lot from the Holy *Qur'an* and *Hadith*. Anyhow in this Article, the influence of *Qur'an* and *Hadith* on Maqamas of Al-Harare is analyzed along with Islamic terms and compassion used in *Qur'an* and Sunnah.

Keywords: Impact of *Qur'an*, Impact of *Hadith*, Maqamas of Al-Harare.

لقد اتخذ التراث العربي ، منزلة رفيعة بين الآداب العالمية بأصنافه الأدبية - وإنما المقامة هي إحدى أنواعه النثرية التي تكون ذات القالب الواحد والمضامين المتعددة وهي تعبر عن غايات واضحة يقصدها المؤلف و يصوغها بصورة ممتعة ليحلب به متلقيه لقد اعترف الكتاب من الأدباء الفطاحلة بأنه إبداع تراثي يحمل خصوصية الثقافة الإسلامية.

*باحث الدكتوراة بجامعة سرجودها، سرجودها-

**محاضر في قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية بجامعة سرجودها، سرجودها-

نوع من القصة القصيرة، أدبي، بليغ ومسجوع يجري على لسان رجل خيالي ماكر يحتال الناس للحصول على المال، وفي غالب الأحيان تنتهي المقامات بعبارة أو عظة أو نكتة دينية أو أخلاقية⁵

وأما الدكتور إحسان عباس يذكر تعريف المقامات بأنها " قطعة نثرية مسجوعة قصيرة الفقرات ذات طول معيلاً لا تتجاوز في طولها مقام واعظ يتحدث إلى جمهوره و في الأغلب يقول بطل متنكراً، فهي تقع بين (عقدة) (وحل) قصيرى الأمد و يكون الحل أشباعاً لتشويق، و يصبح الإنكشاف مدعاة للارتياح وسبباً لطمانينة النفس⁶.

ويرى الدكتور "يوسف نور عوض" أن أغلب مواضيع المقامة تدور حول الكدية والاحتتيال ويعرفها بقوله المقامة هي حكاية أدبية قصيرة يدور أغلبها حول الكدية والاحتتيال لجلب الرزق و تشمل على نكتة أدبية تستهوي الحاضرين⁷

مبدع فن المقامة:

تعددت آراء الأدباء وتنوعت حول مبتكر المقامة و مبدعها في الأدب العربي، كما اختلف البحاثة في نشأة فن المقامة ، فهناك من يرى أن مبدع هذا الفن هو العالم اللغوي "أبو بكر بن دريد" لقد اعتنى عدد من الباحثين بنص في زهر الآداب " وهذا اسم وافق مسماه ولفظ طابق معناه ، وكلام غض المكاسر، انيق الجواهر يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً ولما رأى أبابكر محمد بن الحسن أن دريد الأزدي أغرب باربعين حديثاً و ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر، في معارض حوشية ، وألفاظ عنجهية ، فحاء أكثرها تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجب الأسماع، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وضروب متصرفة⁸.

و بناء على ذلك ادعى زكي مبارك بأن ابن دريد هو مبتكر فن المقامة و يعود إليه فضل السبق في هذا المجال ولقد اتبع نهجه البديع⁹ ويؤيده ما ذكرته مهين حاجي زاده "جدير بالذكر أن موضوع الأحاديث القصيرة ابن دريد التي رواه القالي في كتابه الأمالي تعليمي، قد استخدم ابن دريد

⁵ محمد النجار، النثر العربي، (القديم الكويت: مكتبة دارالعروبة ط، ٢٠٠٢م)، ٢٨٢

⁶ عصام أبو شندي، نقد النثر العربي في كتابات إحسان عباس، (عمان: الناشر، دارالشرق، ط٢٠٠٦م)، ١١٤

⁷ يوسف نور عوض، فن مقامات بين المشرق والمغرب، (بيروت: الناشر، دار القلم، ط ١، ١٩٧٩م)، ٨-٩

⁸ الحصري، زهر الآداب ، تحقيق زكي مبارك، (بيروت: الناشر، دارالجليل، ط١٩٧٢م)، ١: ٢٤٣

⁹ زكي مبارك النثر الفني في القرن الرابع الهجري، (بيروت: الناشر، دارالكتب العلمية، ط٢٠١٠م)، ١: ٢٤٤

فيها الكلمات الغريبة والعجيبة حول حكايات عربية قديمة في التاريخ والحب والكديّة والتسول، ولكن الهدف من هذه المقامات هو الإنشاء الجميل والخطبة والموعظة في إطار قصة قصيرة، وأحاديث ابن دريد قصيرة في سطور أربعة أو تطول صفحة، وأحياناً تحتوي شعراً¹⁰

وهذا أبو القالي تلميذ ابن دريد يدعي أن مواضع أستاذه كانت تعليمية تحمل كلمات حوشية في سطور قليلة. كما تؤكد الدكتورة "مهين حاجي زاده أن المبتكر الفعلي للمقامات هو ابن دريد، "إن بديع الزمان ليس مبدع المقامات بل ابتكره ابن دريد وغرض بديع الزمان من إنشاء مقاماته معارضة لابن دريد..... وكذلك تسمية قصص ابن دريد بأحاديث في حين أن بديع الزمان سمي قصصه بالمقامات¹¹ فان الدكتور زكي مبارك و من والاه من الطائفة الذين يميلون إلى أن " بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات وإنما ابتكره ابن دريد"¹² وهو أول من بدأ بكتابة هذا النوع القصصي الذي أراد به تدريب الناشئة وتعليمها أساليب اللغة والبيان.

ومن جهة أخرى نجد فئة أدبية تشمل على عدد من الأدباء يقرون بأن ابن فارس هو مبدع فن المقامات، من خلال رسائله التي اشتهر بها، ويقول "حرجي زيدان" عن سبق "ابن فارس" في كتابة هذا النوع الأدبي "وله فضل التقدم في وضع المقامات لأنه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقهم من بين الذين اقتدوا بأثره تلميذه "بديع الزمان الهمداني" الذي اتبع نَحْجَه فهذا الدكتور "أحمد الحوفي" يقول في هذا الصدد "وضع مقامات حاكها بعض الأدباء، وقد اشتهر من بينهم بديع الزمان الهمداني وهذا يعني أن "ابن فارس" مصدرًا من بين المصادر التي أعانته وساعدته في صوغ أفكاره وأسلوبه.¹³

فهذا الدكتور حسن عباس يعترف بدور ابن دريد في نشأة المقامة العربية تقديراً بتحقيق زكي مبارك بقوله وحوصلة الكلام بأننا نؤمن مع زكي مبارك بدور ابن دريد في نشأة المقامة العربية و أثره في عمل البديع-¹⁴

¹⁰ مهين حاجي زاده، المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية، مجلة اللغة العربية و آدابها، السنة الثانية، العدد،

الرابع، جامعة آذر بايجان، ٢١

¹¹ المرجع السابق، ٢٢

¹² زكي مبارك، النشر الفني في القرن الرابع، (مصر: الناشر، المكتبة التجارية الكبرى، ط٢، ١٩٣٤م، ١: ١٩٨

¹³ حرجي زيدان، تاريخ الآداب اللغة العربية، (بيروت: الناشر، دارالقلم، ٢٠٢٠م)، ٧٣٩

¹⁴ حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، (مصر: الناشر، دارالمعارف، ١٩٨٦م)، ٣٠٠

وخلافاً للرأيين السابقين نجد الأدباء الفطاحلة والكتاب العباقرة يميلون إلى أسبقية الهمداني في إنشاء فن المقامة، كما يعترف الحريري بأسبقية الهمداني وذلك في قوله: "هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة قدامة، لا يغترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك المسرى إلا بدالته"¹⁵

فهنا لك أديب أريب وهو البستاني¹⁶ يؤيد موقف من مال إلى أولية هذا النوع الأدبي هو بديع الزمان الهمداني وهو مبدع: المقامات غير ان هناك تباين في الآراء بين النقاد والباحثين في اعتبار الهمداني مبدع لهذا الفن الأصيل¹⁷

وهناك باحث آخر الدكتور عبد المنعم خفاجي يقول في هذا الصدد "وليس هناك إلا البديع نفسه، فهو أب المقامة في الأدب العربي، وصاحب الفضل في إنشائها"¹⁸

ترجمة الحريري:

هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ولد الحريري "بمشان" سنة ٤٤٦هـ الموافق سنة ١٠٠٤م. وكان من سلالة عربية لقد ترعرع بـمشان ولما أصبح شاباً انتقل إلى بصره واتخذها مسكناً له بحي يسمى حَيّ بني حرام

إنما كنية الحريريّ أبو محمد وأما محمد هو أبو العباس محمد بن القاسم الذي لقب بزین الإسلام الحريريّ لقد اطلعت على ذكره في خريدة القصر و جريدة العصر يذكر عنه العماد "لقد التقيت به بالمشان كبير الشان، سنة ست وخمسين وخمس مئة وسمعت عليه من مقامات أبيه"¹⁹

¹⁵ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، مقامات الحريري، (بيروت: الناشر، دار الكتب العلمية، ط ٤، ٢٠٠٣م)، ١٤.

¹⁶ بطرس البستاني ويُلقب المعلم بطرس، هو أديب وموسوعي ومربي ومؤرخ دخل المدارس الوطنية وألف أول موسوعة عربية سماها دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب. وكان المعلم بطرس البستاني والمتوفي سنة ١٨٨٣م- انظر في تاريخ الأدب العربي الحديث لحنّا الفاحوري، (بيروت: المطبعة، دار العلم)، ٩٥.

¹⁷ البستاني بطرس، أدباء العرب، (بيروت: الناشر، دار الجليل، ط ٢٠٠٩م)، ٢: ٣٩٠-٣٩٤.

¹⁸ حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، (مصر: دار المعارف، ط ١٩٨٦م)، ٣٠.

¹⁹ الأصبها نى عمالدين الكاتب، خريدة القصر و جريدة العصر، تحقيق: محمد بحجة الأثري، (الناشر: مكتبة لسان العرب،

لقد استفاد الحريريّ من الأساتذة الفطاحلة في عصره و سافر إلى بغداد ليشفي غلته العلمية كسائر الطلاب المشتاقين إلى العلوم وتلمذ على يد الإمام النحوي المفسّر علي بن فضال المجاشعي²⁰ وتلقّى الفقه على يد الفقيه الكبير ابن الصباغ وأبي إسحق الشيرازي-

وأما تسمية أبي القاسم " بالحريري " ، هل كان صاحب صنعة الحرير؟ أو هذه الصنعة كانت مهنة لأجداده؟ وإذا عدنا إلى كتب التاريخ فنجد السمعاني- تحدث عن الحريري بقوله: " ولعل واحدا من أجداده يعمل الحرير، أو يبيعه، و رأيت أولاده ببغداد والبصرة."²¹

ولم يبدللباحث صنعة أخرى للحريري غير الأدب؛ لكنه كما ذكر السمعاني بأن الحريريّ كان غنيا يملك ثمانية عشر ألف نخلة؛ بيد أن العماد الأصبهاني صاحب الخريدة قد أورد لنا أن الحريري له مهنة أخرى " ولم يزل الحريري صاحب الخبر. بالبصرة، في ديوان الخليفة وتولى أولاده هذا المنصب إلى آخر العهد المقتفي لأمر الله."²²

إن جمال أدب الحريريّ جذابا وخالبا لا يحى أثره من قلوب الناس على رغم مضىّ القرون وأما جمال صورته تشمئز منه النفوس يحكي الأنباري²³ في كتابه نزهة الألباء في طبقات الأدباء ما نصه: " وكان الحريري دميم الخلق، فيحكي أن رجلا قصده ليقراً عليه ، فاستدل على مسجده الذي يقرأ فيه، فلما أراد الدخول رأى شخصا دميم الخلق فاحتقره وقال: لعله ليس هو هذا، فرجع. ثم قال

²⁰ هو إمام النحو أبو الحسن علي بن فضال بن علي بن غالب، المحجّاج شعي القيرواني طراف الدنيا واتّصل بنظام الملك و صنّف مؤلّفاً في النحو وأقرأ الأدب مدّة وله البسمة وشرحها في مجلد تو في في ربيع الأول سنة ٤٧٩م - مأخوذ سيرة أعلام النبيل -- للذهبي، ١٨: ٥٢٨

²¹ الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت٥٧٧)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (الأردن: الناشر، مكتبة المنار، الزرقاء، ط٣، ١٩٨٥م)، ٢٨٠

²² هو أبو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله بن المستظهر. الخليفة ٣١ من خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة في ثامن ذي الحجة سنة ٥٣٠هـ، (٧ سبتمبر ١١٣٦)، ٤: ٦٠١

²³ أبو البركات الأنباري (٥١٣ هـ - ٥٧٧ هـ / ١١١٩ م - ١١٨١ م) هو أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري، الملقب كمال الدين، النحوي؛ من علماء اللغة والأدب والتراجم. سكن بغداد وتوفي فيها-

في نفسه: لعله يكون هذا، ثم استبعده أن يكون هو، والشيخ يلحظه، فلما تكرر ذلك منه، تفرس الشيخ منه ذلك، فلما كان في المرة الأخيرة قال له: ادخل، فأنا من تطلب أكثر من قرد منحك " ²⁴ وعلى الرغم من بعض الصفات التي لا تليق بمقام الحريري الرفيع كالبخل وقبح الشكل والعفش، فإنه استطاع أن يتربع على المكانة الرفيعة في الأدب العربي ويفوق في كتابة المقامات على كثير ممن جرب قلمه في هذا المجال ولا ينسى التاريخ منزلته في أى حال-

إن للحريري عدة مؤلفات نظماً و نثراً ولقد أضاف إلى التراث العربي كنزاً من الكتب الأدبية لا ينفد و يذكر مستفيده فطنته ولباقته وطول يده على استخدام التعبير حسب مشيئته وعلى رأس مؤلفاته كتاب المقامات، وكتاب درة الغواص في أوهام الخواص ، وكتاب ملحمة الإعراب، وهي قصيدة في النحو، وكتاب شرح ملحمة الإعراب، كتاب رسائله المدونة ، كتاب شعره ". و صدور زمان الفتور ، وفتور زمان الصدور في التاريخ . و " توشيح البيان نقل عنه الغزالي"- ²⁵

وكتب الحريري كثيراً من الرسائل، و إلى أن قيل إنها بشكل ديوان رسائل. كما ذكر ياقوت الحموي ²⁶؛ وأما هذا الديوان بأكمله لا يوجد في متناول أيد الناس ؛ ولكنها ذكرت في ثنيات الكتب التي تحدثت عنه، وهذا يدل على أن الديوان كان موجوداً، ولكنه فقد، أو لا يزال بشكل مخطوط شأنه شأن الكثير من الكتب العربية التي أودعت الخزانات و لم يستطع المتعلمون الاستفادة منها، وكذلك أصيب ديوان الحريري الشعري بما أصيب به ديوان الرسائل.

لقد اعترف بعلو شأنه العلماء و الأدباء فياترى لما قال الذهبي ²⁷ معترفاً لبلاغته وفصاحته "حامل لواء البلاغته وفارس النظم والنثر" ²⁸ فهذا أبو العباس الشريشي ²⁹ يرفع الحريري إلى ذروة البلاغة بقوله " كان

²⁴ الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (الأردن: الناشر، مكتبة المنار، الزرقاء، ط ٣، ١٩٨٥م)، ٢٨٠.

²⁵ الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (الأردن: الناشر، مكتبة المنار، الزرقاء، ط ٣، ١٩٨٥م)، ٢٨٠.

²⁶ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) أديب ومؤلف موسوعات وخطاط من أصل رومي اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، سكن في مدينة بغداد حتى وفاته، ولقد سمي نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتاب (معجم البلدان) الذي ترجم وطبع عدة مرات. انظر، ياقوت الحموي معجم الأدباء، ٦٠٦، ٢٠٦، ٢٠٦.

²⁷ شمس الدين الذهبي هو محدث وإمام حافظ. و هو من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي، وقيل أن سُمي الإمام الذهبي بالذهبي لأنه كان يزن الرجال كما يزن الجوهري الذهب ، انظر رد الوافر لمحمد بن عبدالله (أبي بكر)

آخر البلغاء وخاتمة الأدباء فارس ميدان البراعة ومالك زمام القرطاس والبراعة³⁰ فيخبرنا الحموي بأن الرئاسة في الأدب تنتهي إلى الحريري قائلاً " كان غاية في الذكاء و الفطنة والفصاحة والبلاغة وله تصانيف تشهد بفضلها وتقر بنبله وكفاه شاهداً" كتاب المقامات " التي أبرمها على الأوائل وأعجز الأواخر"³¹ قال ابن السمعاني عنه "أحد الأئمة في الأدب واللغة ومن لم يكن في فنه نظيري عصره فاق أهل زمانه بالزكاء والفصاحة وتنميق العبارة وتخييسها- ولقد انتقل الحريري إلى جوار رحمة الله تعالى في سادس رجب سنة ست عشرين مائة بالبصرة³²

فإن الباحث لقد تأمل الحريري لما جرب قلمه في إنشاء المقامات فاستولى أسلوب القرآن والحديث على نفسه واستهوا قلبه فراح يتلهف إليهما و يروي غلته من نبعهما ، ولم يتوقف عنه هذا الحد بل راح يسعى و يبذل قصارى مجاهيده مستمداً أفكاره منهما- ولا غرو، أن القلم الأدبي المقتبس من مشكاة النبوة يصبح له أثرا في المجتمع و منزلة رفيعة في الأوساط العلمية الأدبية -

أثر الكلمات والمفاهيم القرآنية في مقامات الحريري:

و يعدّ القرآن الكريم و الحديث الشريف مصدرين مهمين من المصادر التي يلجأ إليها الأدباء والكتّاب في مختلف عصورهم الأدبية ، وذلك لما يمتاز به القرآن الكريم من التنسّق و تأليف العبارات البليغة التي يعتمد عليها الأديب الأريب لتحسين و تزيين ألفاظه و معانيه وصوره بألوان بديعية من جانب و من جانب آخر هو تحريك عنصر الإثارة والتشويق لدى المتلقّي إذ أن المتلقي عندما يدرك بأن

بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٥٨٤٢هـ) المحقق، زهير الشاويش(بيروت: الناشر، المكتب الإسلامي، الطبعة، الأولى، ١٣٩٣)، ١: ١٢٨

²⁸ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم الأدباء، المحقق، إحسان عباس، (بيروت: الناشر، دارالغرب الإسلامي، ط ١، ١٤١٤هـ)، ٦: ٢٠٣

²⁹ كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي، (١١٦٢ - يناير ١٢٢٣)، (٥٥٧ - ذو الحجة ٦١٩) لغوي أندلسي من أهل القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري. ولد في شريش ونشأ بها. أخذ عن علماء عصره كابن خروف وابن زرقون وابن لبال الشريشي، ثم قام برحلات إلى المشرق. ثم رجع واشتغل بالتدريس في مسقط رأسه. له كتب وشروح أشهرها شرحه على مقامات الحريري.

³⁰ أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، شرح مقامات للحريري، (الناشر، المكتبة الوقفية، ط ١، ١٩٩٨م)، ١: ٥

³¹ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم الأدباء، المحقق، إحسان عباس، (بيروت: الناشر، دارالغرب الإسلامي، ط ١، ١٤١٤هـ)، ٦: ٢٠٦

³² المرجع السابق، ٥: ٢٠٢

الكاتب أو المنشئ استمد ألفاظ أدبه من القرآن الكريم والحديث الشريف و يشعر بغناء ذلك الأنتوج الأدبي و قيمته الجمالية و الفنية لأن القرآن الكريم معجزه خالدة في كل شيء- فلا غرو أن الانتوج الأدبي يزداد جمالاً و حسناً ورونقاً حين اقتباسه من القرآن الكريم لفظاً كان أم أسلوباً

قضية التفت:

يبدأ الحريّ مقاماته المكيّة فيذكر "فلما قضيت بعون الله التفت، واستبحت الطيب والرفث"³³ هنا يبدو أثرالقرآن باستخدامه الكلمة " التفت "، كما ذكرني القرآن "ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَيُؤْتُوا نَدْوَرَهُمْ"³⁴ لقد اتبع الحريّ أسلوب القرآن في ذكرمن أذى مناسك الحجّ بقضاء التفت فإنة إزالة ماطرأ بالإحرام من الشعث بتقليم الأظفار وأخذ الشعر- وهو كناية عن الخروج من الإحرام -

حمالة الخطب:

يعيب الحريّ الغيبة ويذكر بما ورد في القرآن عن زوجة أبي لهب التي كانت تمشى بالنمائم إلى قريش وتشجعهم على إيذاء خيرالبشرامام الأنبياء^{عليهم السلام} - وكانت تطرح الشوك في طريقه ، و لعنها الله تعالى بقوله " حَمَالَةَ الْحُطْبِ "³⁵ فأما قول الحري " وقذت النميمنة خيرالبشرحتى انتشر عن حمالة الخطب-"³⁶

خيرحافظ:

واما قوله " و أستودعكم خيرحافظ "³⁷ - فيقصد الحريّ بأن الله هو خير حفيظ فلذا يستودع ابو زيد الجماعة إلى الله سبحانه تعالى فهذا يوحي إلى قول الله تعالى " قَالَلَّهُ خَيْرَ حَافِظًا "³⁸

ضرب الله على الآذان:

يقول الله سبحانه وتعالى عن إنامة ثقيلة لأصحاب الكهف " فَضَرْنَا عَلَى آذَانِهِمْ " ³⁹ ذكر بعض المحققين في هذه الآية الا ستعارة المكنية لشبه الإنامة الثقيلة" - بضرب الحجاب على الآذان - فيها

³³مقامات الحري، ١٣٦

³⁴الحج: ٢٩

³⁵الذهب: ٤

³⁶مقامات الحري، ١٨٤

³⁷ايضاً، ١٨٩

³⁸يوسف: ٦٤

³⁹الكهف: ١١

نحن نرى الحريريّ يستخدم هذا الأسلوب للاستعارة المكنية متأثراً بالقرآن في المقامة النصيبية بقوله "فضرب الله على الآذان وأفرغ السنة في الأحناف"⁴⁰

تمرمر السحاب:

إن الحريريّ متشبع بلغة القرآن ومتأثره متأثراً بليغاً يبدو ذلك واضحاً في ذكر التشبيه البليغ بقوله "فاختاروا من الجوار المنشآت جارية حالكة الشيات تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب"⁴¹ هنا شبه سرعة السير لمر السحاب والمعنى أنها تسير كسير السحاب الذي تدفعه الرياح استوحى الحريريّ المعاني الواردة في قول الله تعالى " وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ "⁴²

صكوا الحدود:

يذكر الحريريّ في المقامة النصيبية "صكوا الحدود"⁴³ بالمعنى الذي ذكر في القرآن " فَصَكَّتْ وَجْهَهَا "⁴⁴ فالمراد هنا لطمها بالتعجب-

كان على شاكلته وشكله:

استدعى الحريريّ في المقامة النصيبية هذين الوصفين لا بن أبي زيد السروجي في المقامة النصيبية بقوله " فالتفت أبو زيد إلى شبله ، وكان على شاكلته ، وشكله "⁴⁵ شاكلة أى يشابهه في صورته ويسلك هديه فأما الكلمة "شاكلته" ذكرت في الآية " قُلْ كُلٌّ يَجْعَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ "⁴⁶ وأما الكلمة " شكله " مستفادة من قول الله تعالى " وَعَاخِرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ "⁴⁷

⁴⁰ مقامات الحريريّ، ١٩٥

⁴¹ مقامات الحريريّ، ٣٧٣

⁴² النحل: ٨٨

⁴³ مقامات الحريريّ، ١٩٣

⁴⁴ الذاريات: ٢٩

⁴⁵ مقامات الحريريّ، ١٩٥

⁴⁶ الإسراء: ٨٤

⁴⁷ ص: ٥٨

فطاف علينا:

استعمل الحريريّ هذا التعبير في إكرام الضيوف في المقامة النصيبية بقوله " قال ففقه ابنه لطائف رموزه ، بلطافة تمييزه، فطاف علينا بالطيبات والطيب ، إلى أن آذنت الشمس بالمغيب " ⁴⁸ فيقصد بهذه العبارة أن ابن أبي زيد السروجي بدأ يطوف على الناس بأنواع الأطعمة- ولقد جاء هذا الوصف في القرآن الكريم لأهل الجنة " يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ " ⁴⁹

نصر من الله:

استخدم الحريريّ هذا الوصف لله في المقامة الفارسية خلال إخبار أبي زيد عن قصة صيده بقوله " ونودي حين يسموله نصر من الله وفتح قريب " ⁵⁰ لقد استدعى الحريريّ هذا التعبير من المحكم التنزيل " وَأُخْرَىٰ تُحِبُّوهُمَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ " ⁵¹

انتشار الجراد:

جاء هذا التركيب في سورة القمر لقول الله تعالى " كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ " ⁵² واستخدمه الحريريّ في المقامة الرازية " وهم منتشرون انتشار الجراد " ⁵³

يشفي الصدور:

بشّر الله سبحانه و تعالي المؤمنين في القرآن الكريم وقال " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ " ⁵⁴ فيستدعى الحريريّ هذا المعنى في المقامة الرازية بقوله " وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور " ⁵⁵

⁴⁸ مقامات الحريري، ١٩٦

⁴⁹ الواقعة: ١٧-١٨

⁵⁰ مقامات الحريري، ٢٠١

⁵¹ الصف: ١٣

⁵² القمر: ٧

⁵³ مقامات الحريري، ٢٠٦

⁵⁴ التوبة: ١٤

⁵⁵ مقامات الحريري، ٢٠٦

يعجبك التكاثر:

يريد الحريري بكلامه هذا التنبيه على من أعجب بكثرة ماله وأصبح غافلاً عن الآخرة بقوله "يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك" ⁵⁶ وذكره الله تعالى في كلامه المجيد "أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ" ⁵⁷ **أتظن أن تترك سدى:**

ينطق الحريري على لسان واعظ بتذكير الآخرة ويوقظ الغفلة من سبات عميق بقوله "أتظن أن تترك سدى" ⁵⁸ ولقد جاء ذكره في كلام الله تعالى في سورة القيمة "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى" ⁵⁹ **لن يدفع المنون ، مال ولا بنون:**

إنما يستذكر الحريري في المقامة الراضية الموت الذي ليس منه الفوت ولم يكن له دافعاً مالم لا ولا أولاداً فقال "والله لن يدفع المنون مال ولا بنون" ⁶⁰ فيبدو هنا تأثير الحريري بما جاء في المحكم التنزيل "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ" ⁶¹

نهى النفس عن الهوى:

وعداً لله سبحانه وتعالى في المحكم التنزيل "وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى" ⁶² يستلهم الحريري هذا المعنى في المقامة الراضية بقوله "فظوبى لمن سمع ووعى وحقق ما دعى ، ونهى النفس عن الهوى،" ⁶³

وأن ليس للإنسان إلا ما سعى:

تضمن الحريري هذا المركب في نفس المعنى الذي ذكر في القرآن فيقول "وعلم أن الفائز من ارعوى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى" ⁶⁴ ولقد جاء في سورة النجم قول

⁵⁶ مقامات الحريري، ٢٠٧

⁵⁷ التكاثر: ١

⁵⁸ مقامات الحريري، ٢٠٦

⁵⁹ القيامة: ٣٦

⁶⁰ مقامات الحريري، ٢٠٦

⁶¹ الشعراء: ٨٨

⁶² النازعات: ٤٠-٤١

⁶³ مقامات الحريري، ٢٠٨

⁶⁴ أيضاً، ٢٠٨

الله تعالى " وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى " ⁶⁵ أي كما لا يعاقب أحد بذنبه الغير لا يثاب فعل أتى به-

أخذت زخرفها:

يراد بهذا المركب بأن الحديقة تكاملت في حسنها- جاء هذا المركب في المقامة القطيعية بقوله " ونحن كندماني جذيمة مودّة إلى حديقة أخذت زخرفها وازيّنت " ⁶⁶ يستدعي هذا المعنى من القرآن الكريم " حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرَفَهَا وَأَزْيَنْتُ " ⁶⁷

يُنظِرُنِي إِلَى مَيْسِرَةٍ:

يذكر الحريّ متحدّاً عما جرى بين المديون وغريمه إلى أن طلب المديون منه المساهلة والإمهال بقوله " ورغبته في أن ينظري- بمياسرة أو ينظري إلى ميسرة " ⁶⁸ يستلهم الحريّ هذا المعنى من القرآن الكريم " وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ " ⁶⁹

بضع سنين:

هذا المركب العددي يستعمل فيما بين الثلاث إلى عشرة استخدمه الحريّ في المقامة الرقطاء بقوله: " فلبثت بضع سنين أنعم في ضيافته " ⁷⁰ ولقد جاء ذكر هذا المركب العددي في القرآن الكريم " فِي بَضْعِ سِنِينَ " ⁷¹

ولا تأس على:

" استدعى الحريّ هذا المركب في المقامة الوبرية بقوله ولا تأس على ما ذهب ولو أنه في وادٍ من ذهب " ⁷² ولقد تأثر في استخدامه هذا التعبير من قول الله تعالى " فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " ⁷³

⁶⁵ النجم: ٤٠-٣٩

⁶⁶ مقامات الحريّ، ٢٣٧

⁶⁷ يونس: ٢٤

⁶⁸ مقامات الحريّ، ٢٦٢

⁶⁹ البقرة: ٢٨٠

⁷⁰ مقامات الحريّ، ٢٦٨

⁷¹ الروم: ٤

⁷² مقامات الحريّ، ٢٧٥

⁷³ المائدة: ٦٨

أثرالكلمات والمفاهيم الحديثية في مقامات الحريريّ

وظائف العجّ و الشجّ:

لقد تعرض الحريريّ لهذا المركب في المقامة الطيبة - بقوله " حين قضيت مناسك الحجّ و أقمت وظائف العجّ والشجّ " ⁷⁴ إنما هذا التعبير المستفاد من الحديث الشريف لم يجر على لسانه عفويًا ، إنما نتيجته تعود إلى أن صاحبه متشبع من دراسته الدينية و خاصة القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و نستشف ذلك من استعراضه لجوامع الكلم التي تأثر بها الحريريّ في الحديث الشريف- " أن رسول الله صلى الله وسلم سُئل " أيّ الحجّ أفضل ؟ قال العجّ و الشجّ " ⁷⁵

والله المستعان:

لقد استخدم الحريريّ هذا المركب في المقامة الواسطية بقوله " لقد فسد الزمان وعم العدوان و عدم المعوان والله المستعان " ⁷⁶ لقد استلهم الحريريّ هذا المعنى من الحديث " والله المستعان وعليه التكلان " ⁷⁷

يوم النشور:

هو يوم القيمة والبعث استخدم الحريريّ هذا المركب في المقامة الواسطية بقوله " ولينشرون ذكره إلى يوم النشور " ⁷⁸ يبدو تأثره بالحديث " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور " ⁷⁹

⁷⁴ مقامات الحريريّ، ٣٢٩

⁷⁵ محمد ابن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق و تعليق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و إبراهيم عطوة عوض،(مصر: الناشر، مكتبة مصطفى البأبي، ط٢، ١٩٧٥م)، حديث: ٨٢٧

⁷⁶ مقامات الحريريّ، ٢٩٦

⁷⁷ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، كتاب تاريخ دمشق،(بيروت: الناشر، دارالفكر، ط١، ١٩٩٥م)، ٢: ٧٤٩

⁷⁸ مقامات الحريريّ، ٢٩٩

⁷⁹ مسلم ابن حجاج القشيري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي(الناشر، داراحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٥م)، حديث: ٢٧١١

ألقي في روعي:

إنه يراد بكلمة " الروح " القلب - فاستخدم الحريريّ هذا المركب في المقامة الطيبية بقوله " أن ألقي في روعي الاستسلام"⁸⁰ ولقد أورد الحريريّ هذا التعبير متأثراً بما ورد في الحديث "إن روح القدس نفث في روعي"⁸¹

من حجّ وجفا:

إن استخدام الحريريّ لهذا التعبير يدلّ على تأثره بالحديث الشريف لقد ذكر الحريريّ في المقامة الطيبية "أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبه لأزور قبر النبي عليه وسلم وأخرج من قبيل من حجّ وجفا"⁸² كما جاء في الحديث الشريف " من حجّ ولم يزرني فقد جفاني"⁸³

أشكو إلى الرحمن:

لقد استخدم الحريريّ هذا التعبير في المقامة التفليسية عند ذكر بيان حالة أبي زيد السروجي الرثّة وهيئته الكتّة بقوله"

أشكو إلى الرحمن - سبحانه - تقلب الدهر وعدوانه "⁸⁴ يستدعي هذا التعبير إلى الدهن حديث الرسول عليه وسلم " اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي و قلة حيلتي"⁸⁵

أستغفر الله:

استخدم الحريريّ هذا التعبير على لسان أبي زيد السروجي بقوله "رمقني بعين مضحك، ثم طفق ينشد بلسان متباك أستغفر الله وأعنوله"⁸⁶ فيبدو في هذه المقامة استفادة الحريريّ من الحديث

⁸⁰ مقامات الحريري، ٣٢٩

⁸¹ تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، كتاب طبقات الشافعية الكبرى، (الناشر، دارالكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ)، ٢٩١:٦

⁸² مقامات الحريري، ٣٢٩

⁸³ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسيني الشافعي السهمودي، وفاء الوفاء بأخبار دارالمصطفى، (بيروت: الناشر، المكتبة دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩م)، ٤: ١٧٤

⁸⁴ مقامات الحريري، ٣٥٤

⁸⁵ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، السيرة النبوية لا بن هشام، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ الشبلي، (مصدر: الناشر، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، ط٢، ١٩٥٥م)، ١: ٤٢١

بصورة قوية مؤثرة موجبة إلى قول الرسول عليه وسلم " أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه"⁸⁷

النصح من شروط الدين:

لقد أجرى الحريريّ على لسان أبي زيد السروجي في مقاماته الأحاديث والآي القرآنية لجذب عناية السامعين والناظرين كما ذكر في المقامة العمانية بقوله " أيهذا الجنين إني نصيح لك والنصح من شروط الدين"⁸⁸ فهذا يدل على شدة تأثره بالحديث وهذا المعنى الوارد يصرف ذهن القاري إلى حديث الرسول عليه وسلم الذي رواه تميم الداري رضي الله عنه - قال النبي عليه وسلم الدين النصيحة⁸⁹

رفع قدر الحجريين:

يقصد بالحجريين الحجر الأسود والحجر الذي كان يصعد عليه إبراهيم الخليل - عليه السلام - فذكر الحريريّ في المقامة التنبؤية بقوله " ورفع قدر الحجريين"⁹⁰ فإنما ذكرهذين الحجريين الشريفين يدل على تأثر الحريريّ بالحديث لما يعثر بذكرهما في الحديث حيث ورد عن الحجر الأسود ماروي عن ابن عباس رضي الله عنه " نزل الحجر الأسود من الجنة"⁹¹ وأما الحجر الذي سمي بمقام إبراهيم روي عن عبدالله بن عمر وبن العاص رضي الله عنه " أنه قال أنشد بالله ثلاثاً ووضع أصبعه في أذنيه، سمعت رسول الله صلى الله وهو يقول " إن الركن والمقام يا قوتتان من ياقوت الجنة"⁹²

⁸⁶ مقامات للحريري، ٣٧٥

⁸⁷ محمد ابن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق و تعليق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض،(مصر: الناشر، مكتبة مصطفى الباي، ط٢، ١٩٧٥م)، حديث: ٣٣٩٧

⁸⁸ مقامات للحريري، ٤١٦

⁸⁹ محمد بن عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله و سننه وأيامه،(دمشق: الناشر دار ابن كثير، ط٢٠٠٩م)، حديث: ٥٥

⁹⁰ مقامات للحريري، ٤٣٥

⁹¹ محمد ابن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق و تعليق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض،(مصر: الناشر، مكتبة مصطفى الباي، ط٣، ١٩٧٥م)، ٣: ٢٦٦

⁹² محمد ابن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق و تعليق احمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض،(مصر: الناشر، مكتبة مصطفى الباي، ط٣، ١٩٧٥م)، ٣: ٢٦٦

فسحقاله:

يقصد بهذه الكلمة بعدأله من رحمة الله لقد استعمل الحريري هذه الكلمة في المقامة التنيسية بقوله " فذاك إن مات فسحقاله"⁹³ فيستدعي هذا المعنى من حديث الرسول عليه وسلم " فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك فأقول: سحقا سحقا"⁹⁴

أللهم غفرا:

لقد جاء هذا المركب في المقامة البكرية بقول الحريري " فقال الحكم: أللهم غفرا"⁹⁵ فهذا التعبير يوحي إلى ماورد في الأثر المروي عن أبي الدرداء- رضى الله عنه - حينئذ كان يتعوذ بالله من النفاق فقال له جبير بن نفيير غفرالله لك يا أبا الدرداء: ما أنت والنفاق؟ قال: أللهم غفرا ثلاثا " فهذا ما يبدي لنا تأثر الحريري بالأحاديث وكذلك ما روى عن عمر بن خطاب رضى الله عنه لما سمع رجلا يقول : ياذا القرنين فقال عمر : أللهم غفرا-⁹⁶

لا رهبانية في الإسلام:

لقد استخدم الحريري هذا التعبير في المقامة البكرية بقوله " أترك ما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام"⁹⁷ فيراد بالرهانية في هذا المقام مايقوم به الرهبان من تواصل الصوم ولبس المسوح وترك أكل اللحم والتبتل و ترك الزواج- فهذا يُبدي بأن الحريري في مقامته هذه التأثر بالحديث كما روى " أن الرهبانية لم تكتب علينا"⁹⁸

⁹³ مقامات للحريري، ٤٣٦

⁹⁴ مسلم ابن حجاج القشيري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (الناشر، دار إحياء التراث العربى، ط٢،

١٠٧٥م، حديث: ٢٤٩

⁹⁵ مقامات للحريري، ٤٥٨

⁹⁶ أبو عبدالله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير الجامع، (القاهرة: الناشر، دارالكتب

المصرية، ط٢، ١٩٦٤م)، ١١: ٣١

⁹⁷ مقامات للحريري، ٤٦٤

⁹⁸ أبو عبدالله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، محقق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: الناشر، دارالحديث،

ط١، ١٩٩٥م)، ٦: ٢٢٦

التماس رضى الناس بسخط الله:

يذكر الحريزي في اختتام المقامة الرزية " فأغيبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد"⁹⁹ - يعنى بقوله هذا " أشد الناس بلادة وحمقاً من يلتمس رضا الناس في إسخط الله- يبدو أثر الحديث الذي روي عن عائشة رضي الله عنها" من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس-¹⁰⁰

الافتباس والتضمين من القرآن الكريم:

وإنما قول أبي القاسم الحريزي في مقدمة المقامات " وارجو ان لا اكون في هذا الهذر الذي اوردته ، والمورد الذي تورده ، كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق بالأحسرين أعمالاً"¹⁰¹ هنا يظهر التضمين من الآية الكريمة- " قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا"¹⁰² وإنما قول الحريزي " صرت إلى محلة الأموات وكفات الرفات"¹⁰³ مقتبس من قول الله تعالى " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا"¹⁰⁴ وأما قوله "فقال لمثل هذا فليعمل العاملون"¹⁰⁵ مقتبس من قول الله تعالى " لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعُمَّالُونَ"¹⁰⁶

وأما قول أبي القاسم الحريزي "ثم كلاسوف تعلمون"¹⁰⁷ مقتبس من قول الله تعالى " ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ"¹⁰⁸

⁹⁹ مقامات الحريزي، ٢١١

¹⁰⁰ محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، (الناشر، دارالمعارف، ط١، ١٩٥٢م)، ٢٧٦

¹⁰¹ مقامات الحريزي، ١٤

¹⁰² الكهف: ١٠٣

¹⁰³ مقامات الحريزي، ١٠٧

¹⁰⁴ المرسلات: ٢٥

¹⁰⁵ مقامات الحريزي، ١٠٧

¹⁰⁶ الصافات: ٦١

¹⁰⁷ مقامات الحريزي، ١٠٩

¹⁰⁸ النكاثر: ٤

قول أبي القاسم الحري " إذا عانيت لا جمع يقي في عرصة الجمع ¹⁰⁹ " مستقاة معناه من قول الله سبحانه وتعالى " وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا " ¹¹⁰

وإنما قوله " فلا بدّ من العرض إذا اعتد صراط " ¹¹¹ مستفاد من قول الله تعالى " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ¹¹²

وأما قول أبي القاسم الحري " ولا تترك إلى الدهر " ¹¹³ مقتبس من قول الله سبحانه وتعالى " وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا " ¹¹⁴

وأما قول أبي القاسم الحري " فقد أفلح من رم " ¹¹⁵ مقتبس من قول الله سبحانه وتعالى " قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَيَّ ¹¹⁶

وأما قوله " ولا تأس علي النقص " ¹¹⁷ مستقاة من قول الله سبحانه وتعالى " فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " ¹¹⁸

وأما قوله " ثم حسر رذنه عن ساعد شديد الأسر " ¹¹⁹ فقوله شديد الأسر " مستفاد من قول الله سبحانه وتعالى " وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ " ¹²⁰

¹⁰⁹ مقامات الحري، ١١١

¹¹⁰ البقرة: ٤٨

¹¹¹ مقامات الحري، ١١١

¹¹² مريم: ٧١

¹¹³ مقامات الحري، ١١٢

¹¹⁴ هود: ١١٣

¹¹⁵ مقامات الحري، ١١٢

¹¹⁶ الأعلى: ١٤

¹¹⁷ مقامات الحري، ١١٣

¹¹⁸ المائدة: ٦٨

¹¹⁹ مقامات الحري، ١١٣

¹²⁰ الأنسان: ٢٨

وأما قوله "وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين"¹²¹ مقتبس من قول الله سبحانه وتعالى
 "وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"،¹²²
 وأما قول أبي القاسم الحريري "وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين"¹²³ مقتبس من قول الله
 تعالى "فَتَبَسَّوْا صَاحِبًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
 وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"¹²⁴
 وأما ذكر دعاء أبي القاسم الحريري "واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا"¹²⁵ يشير إلي قول الله
 تعالى "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا
 نَصِيرًا"¹²⁶
 وأما قوله "إنك سميع الدعاء"¹²⁷ مستفاد من قول الله تعالى "رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
 طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ"¹²⁸ وأما قوله "أقسم بالسماء ذات الأبراج"¹²⁹ يشير إلي قول الله تعالى
 "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ"¹³⁰
 وأما قول أبي القاسم الحريري "وقلنا له؛ اقض ما أنت قاض"¹³¹ - مستفاد من قول الله تعالى
 "فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا"¹³²

¹²¹ مقامات الحريري، ١١٦

¹²² الرخرف: ٧١

¹²³ مقامات الحريري، ١٢٠

¹²⁴ النمل: ١٩

¹²⁵ مقامات الحريري، ١٢٠

¹²⁶ الإسراء: ٨٠

¹²⁷ مقامات الحريري، ١٢١

¹²⁸ آل عمران: ٣٨

¹²⁹ مقامات الحريري، ١٢١

¹³⁰ البروج: ١

¹³¹ مقامات الحريري، ١٢٢

¹³² طه: ٧٢

وأما قوله "ألم يأن لك يا شيخنا"¹³³ يشير إلى قول الله تعالى "الَّذِينَ آمَنُوا أَمْ يَتَخَسَّعُ فُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ"¹³⁴ وأما قوله "أحوال العيلة المعيل إذا حثال"¹³⁵ مستفاد من قول الله سبحانه وتعالى "وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ"¹³⁶

إنما قول الحريزي في المقامة المكية "هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب أوهل بقيت حاجة في نفس يعقوب"¹³⁷ متضمن بقول الله تعالى "ما كان يُعْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَفْقُوبُ قَضَاهَا"¹³⁸

الاقْتِباس والتضمين من الحديث الشريف:

إنما قول الحريزي "ثم إذا كانت الأعمال بالنيات"¹³⁹ مقتبس من الحديث الشريف "إنما الأعمال بالنيات"¹⁴⁰

وأما قوله "فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور"¹⁴¹ مقتبس من الحديث الشريف "عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتمكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنه يرق القلب"¹⁴²

وأما قول الحريزي في المقامة الساوية "هازم اللذات"¹⁴³ مستفاد من الحديث النبوي "عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها ذم اللذات"¹⁴⁴

¹³³ مقامات الحريزي، ١٢٧

¹³⁴ الحديد: ١٦

¹³⁵ مقامات الحريزي، ١٢٦

¹³⁶ التوبة: ٢٨

¹³⁷ مقامات الحريزي، ١٤٢

¹³⁸ يوسف: ٦٨

¹³⁹ مقامات الحريزي، ١٥

¹⁴⁰ محمد بن عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و سنن وإيامه، (دمشق: الناشر، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٩م)، حديث: ٠١

¹⁴¹ مقامات الحريزي، ١٠٧

¹⁴² مسلم ابن حجاج القشيري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (الناشر، دار إحياء التراث العربى)، حديث: ١٤٣٣

وأما قوله " وضحكتم عند الدفن " -¹⁴⁵ مستقاة من قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله كره لكم ثلاثاً العبت في الصلاة والرفث في الصيام والضحك في المقابر "¹⁴⁶

إنما قول أبي القاسم الحريري " شخصت من العراق إلى الغوطة "¹⁴⁷ مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام "¹⁴⁸

وأما قول أبي القاسم الحريري " ليقراً كل منكم أم القرآن "¹⁴⁹ مقتبس من قول النبي صلى الله عليه وسلم " الحمد لله أم القرآن و أم الكتاب والسبع المثاني "¹⁵⁰

وأما قوله في المقامة الدمشقية " أخرجني من ظلمات الظالمين "¹⁵¹ يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم " الظلم ظلمات يوم القيمة "¹⁵²

وأما قوله في المقامة الدمشقية " أَللّهم احرسني بعينك "¹⁵³ مستفاد من الدعاء المأثور عن الإمام جعفر الصادق يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم " أَللّهم احرسني بعينك التي لا تنام "¹⁵⁴

¹⁴³ مقامات الحريري، ١٠٩

¹⁴⁴ محمد ابن عيسى الترمذى، سنن الترمذى، بتحقيق و تعليق احمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض، (مصر: الناشر، مكتبة مصطفى البابي، ط ٣، ١٩٧٥م)، حديث: ٢٣٠٧

¹⁴⁵ مقامات الحريري، ١٠٩

¹⁴⁶ جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد نصب، الرواية في تخريج آحاديث الهداية، (بيروت: الناشر، مؤسسة الريان، ط ١، ١٩٩٧م)، ٢: ٩٧

¹⁴⁷ مقامات الحريري، ١١٦

¹⁴⁸ أبو الحسن نور الدين على بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، (القاهرة: الناشر، مكتبة القدس، ١٤١٤هـ)، ٣: ٢٥٤

¹⁴⁹ مقامات الحريري، ١١٩

¹⁵⁰ أبو العلا محمد بن عبدالرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري، تحفة الأحمدي، (بيروت: الناشر، دارالكتب العلمية، ١٣٥٣هـ)، ٨: ٤٣٨

¹⁵¹ مقامات الحريري، ١٢٠

¹⁵² زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن حسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (المدينة النبوية: الناشر، مكة الغربية، ط ١، ١٩٩٦م)، ٥: ١١٩

¹⁵³ مقامات الحريري، ١٢١

وأما قوله في المقامة السنجارية " المشار إليه بالبنان في البيان " ¹⁵⁵ متضمن بقول الرسول عليه السلام "بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع" ¹⁵⁶

وإنما قول الحري في المقامة الرملية " ثم دلفت إليه لأتصفح صفحات محياه ، وأستشف جوهر حلاه ، فاذا هو الضالة التي أنشدها " ¹⁵⁷ متضمن بالحديث " الحكمة ضالة المؤمن " ¹⁵⁸

لقد اقتبس الحري من الحديث الشريف ما يحمل وصف حال المؤمن بتعبير شاحن و بطاقة تصويرية وعاطفية خصبة بقوله "وقدرأيت ما نزل به من لوعة البين ، والمؤمن هين لين" ¹⁵⁹ فإن القارئ بقليل من التأمل يستذكر الحديث " قال الرسول صلى الله عليه وسلم "المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ" ¹⁶⁰

لقد جرح الحري في مقاماته الحديث عن موضوعات عديدة ويبرز أثر الحديث الشريف وهذا يدل على خبرته الواسعة وثقافته العالية ورغبته في الاستفادة من كنز أحاديث الرسول عليه وسلم فيذكر الحري في المقامة الصعدية "فقال العلام والذي جعلك مفتاحاً للحق" ¹⁶¹ فهذا مقتبس من حديث الرسول عليه وسلم أنه قال " فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير " ¹⁶²

¹⁵⁴ جمال الدين محمد طاهر بن على الصديقي الهندي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل، (الناشر، مطبعة المجلس دائرة المعارف، ط ٣، ١٩٦٧م)، ٢: ١٩٧

¹⁵⁵ مقامات الحري، ١٧٦

¹⁵⁶ محمد ابن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، بتحقيق و تعليق احمد محمد شاکر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض، (مصر: الناشر، مكتبة مصطفى البابي مصر، ط ٣، ١٩٧٥م)، حديث: ٢٤٥٣

¹⁵⁷ مقامات الحري، ٣٢٥

¹⁵⁸ أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، بتحقيق فيصل عيسى البابي، (الناشر، دار احياء الكتب العربية، ط ٣، ١٩٨٠م)، حديث: ٤١٦٩

¹⁵⁹ مقامات الحري، ٣٦٦

¹⁶⁰ محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي، مشكوة المصايح، (بيروت: الناشر، المكتبة الاسلامي، ط ٣، ١٩٨٥م)، حديث: ٥٠٨٦

¹⁶¹ مقامات الحري، ٣٩٦

¹⁶² أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه، سنن ابن ماجه، بتحقيق فيصل عيسى البابي، (الناشر، دار احياء الكتب العربية، ط ٣، ١٩٨٠م)، حديث: ٢٣٨

لقد اقتبس الحريريّ من الحديث الشريف في المقامة المروية بقوله " أرغب في الاغتراب وأستعذب السفرالذي هوقطعة من العذاب "163 هذاما يدل على شدة رغبته في التأثر بالحديث الشريف لما استفاد من حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم قال " السفرقطعة من العذاب "164 فوجد الحريريّ في المقامة العمانية يذكر دعاء ركوب السفينة مايدلّ على تشبعية بتأثرالحديث الشريف بقوله " وقال: اركبوا فيها باسم الله مجرّها و مرساها ثم تنفّس تنفّس المغرمين أوعباد الله المكرمين "165 فهذا مقتبس من الحديث الرسول صلى الله عليه وسلم "أمان أمّتي من الغرق إذركبوا أن يقولوا: بسم الله مجرّها ومرساها إن ربّي لغفو رحيم ما قدروا الله حق قدره "166

فإن الحريريّ استضاف نصّ المقامة التبريزية متأثراً بنصّ الحديث الشريف كما ذكر خلال مدار بين القاضي وأبي زيد السروجي مع خصمه - فأصدر القاضي حكمه بقوله " فأرحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما بدينارين ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب "167 - فهذا متضمّن بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم مارواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة العباس بن مرداس من قول عروة بن الزبير أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال " اقطعوا لسانه عني "168 إنما قول الحريريّ في المقامة الحرامية " وأن المستشار مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن "169 متضمن بالحديث الشريف "المستشار مؤتمن "170

163 مقامات الحريريّ، ٣٩٦

164 زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن حسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (المدينة النبوية: الناشر، مكة الغرباء، ط١، ١٩٩٦م)، ٣: ٧٢٨

165 مقامات الحريريّ، ٤١٢

166 أبو يعلى أحمد بن عليّ المثني بن يحيى التميمي الموصلي، مسند أبي يعلى الموصلي، (دمشق: الناشر، دار المأمون لتراث، ط١، ١٩٨٤م)، ٢: ١٥٢

167 مقامات الحريريّ، ٤٢٩

168 الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، بتحقيق، سلطان بن فهد الطيبشي، (السعودية: الناشر، وزارة الأوقاف، ط١، ٢٠٠٣م)، ٢: ٢٧٢

169 مقامات الحريريّ، ٥٢٨

170 محمد ابن عيسى الترمذی، سنن الترمذی، بتحقيق و تعليق احمد محمد شاکر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض، (مصر: الناشر، مكتبة مصطفى البابی، ط٣، ١٩٧٥م)، حديث: ٢٨٢٢

الأخلاق الإسلامية

الضيافة:

يختتم الحريريّ المقامة الفراجية بذكر تأدية الشكر من قبل أبي زيد السروجي الذي قدم ضيفاً إليه بقوله " حتّى ساقني إليك لطف القضاء فشكرا ليده البيضاء"¹⁷¹ فيلا حظ هنا شكر النعمة ما يجب على الضيف تقديمه إلى مضيفه ويشير ذلك إلى ما ذكر في حديث ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ " من صنع إليكم معروفا فكافئوه"¹⁷² وكذلك ما ردّ عليه حارث بن هشام كمضيف كريم من يدعو ضيفه إلى ان يقيم عنده ثلاثة ايام بقوله "قلت الضيافة ثلاث"¹⁷³ إنه مستقاة من الحديث "الضيافة ثلاثة أيام"¹⁷⁴

كلمة الشكر:

إنما قول الحريريّ في المقامة المكية " فقابلا الصنع بشكر أردية وأديا به ديتته"¹⁷⁵ ففي قوله استعارة لنشر الشكر فإن الأخذان شكر على النعمة فالشكر للواهب هوديّة ماله المالك وإنما استخدامة لهذا المفهوم يشير إلى الحديث " من لم يجد فليش إن من أثنى فقد شكروا من كنتم فقد كفر"¹⁷⁶

مساعدة البائسين:

وأما قول أبي القاسم الحريريّ في "المقامة البغدادية" ناقلا عن خبر العجوز جاءت سائلة وموجهة إلى ما احتاجت بقولها "اعلموا يا مال الآمل وئمال الأرامل"¹⁷⁷ فإن قوله هذا مشير إلى ما نقل عن ابن عمر - رضي الله عنه - رَمَّا ذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

¹⁷¹ مقامات الحريريّ، ١٥٥

¹⁷² محمد ابن عيسى الترمذى، سنن الترمذى، بتحقيق و تعليق احمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض، (مصر: الناشر، مكتبة مصطفى الباني، ط٣، ١٩٧٥م)، حديث: ٢٠٣٥

¹⁷³ مقامات الحريريّ، ١٥٦

¹⁷⁴ زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن حسن، فتح الباري شرح صحيح البخارى، (المدينة النبوية: الناشر، مكة الغرباء، ط١، ١٩٩٦م)، ١٠: ٥٤٨

¹⁷⁵ مقامات الحريريّ، ١٤٢

¹⁷⁶ محمد ابن عيسى الترمذى، سنن الترمذى، بتحقيق و تعليق احمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي و ابراهيم عطوة عوض، (مصر: الناشر، مكتبة مصطفى الباني، ط٣، ١٩٧٥م)، حديث: ٢٠٣٤

¹⁷⁷ مقامات الحريريّ، ١٢٩

يَسْتَسْقِي، فَمَا يَنْزِلُ حَتَّى يَجِيْشَ كُلُّ مِيْرَابٍ: وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِأَرَامِلٍ وَهُوَ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ.¹⁷⁸ وأما قول الحريري في المقامة المكية مخبرا عما أراد أبو زيد السرجي عن ذكر حاله بقوله "إني أمرؤ أبدو بي بعد الوجي والتعب"-¹⁷⁹ فيراد بالتعبير "أبدو بالرجل" إذا هلكت راحلته- فهذا ما يوحى إلى ما ورد في الحديث "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني أبدو بي فأحملي"¹⁸⁰ إنما قول الحريري عن الشخص الذي كان بمثابة المظلوم ينتظر النصره "وينتظر نصره المبعث عليه"¹⁸¹ متأثر بما ذكر في الحديث "وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين"¹⁸²

مذمة النميمة و الكذب:

ان الكذب لم يكن من شيم الكرام بل انه من عادات اللئام- فيذكر الحريري على لسان أبي زيد السروجي في المقامة الفرضية قبح الكذب بقوله- " اعلم اصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هوشعار الانبياء- و حلية الأولياء على أن تلحق بمن مان متخلق بالخلق الذي يجائب الإيمان¹⁸³- وهنا فيلاحظ أترحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنِ الصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنِ الْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنِ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنِ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ

¹⁷⁸ زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن حسن، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (المدينة النبوية: الناشر،

مكتبة الغراء ط ١، ١٩٩٦م)، ٢: ٥٧٣

¹⁷⁹ مقامات الحريري، ١٣٨

¹⁸⁰ مسلم ابن حجاج القشيري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (الناشر، دار إحياء التراث العربي)،

حديث: ١٨٩٣

¹⁸¹ مقامات الحريري، ٢١٥

¹⁸² سليمان بن أحمد بن أيوب ابو القاسم الطبراني، كتاب المعجم الكبير للطبراني، المحقق حمدي بن عبد المجيد

السلفي، (القاهرة: الناشر، مكتبة ابن تيمية، ط ١، ١٩٩٤م)، ٤: حديث: ٣٧١٨

¹⁸³ مقامات الحريري، ١٥١

الرجلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا¹⁸⁴ وكذلك ماروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه " الكذب يجانب الإيمان"¹⁸⁵

عيادة المريض:

يحدّث الحريّ في المقامة النصيبية عن اشتياقه إلى زيادة أبي زيد السروي بعد فجوة عميقة واستذكر اللذة لأخباره المليحة إلى أن اطلع على إصابته بالمرض المهلك فأراد عيادته بقوله " واقتربنا أن نراه"¹⁸⁶ فإن هذا المقام يستدعي ظهور الأثر من الحديث ماروي في ذكر ثواب عيادة المرضى " من عاد مريضاً فجلس عنده قدر ساعة أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يعصيه فيها طرفة عين"¹⁸⁷

إكرام المتقدم في السن:

يذكر الحريّ في المقامة المكيّة ناقلاً عن أبي زيد السروي حال كونه سائلاً " إن لي مأرباً ولفتاي مطلباً فقلنا له كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف يرضى ولكن الكُبر الكُبر"¹⁸⁸ ففي هذا النص قوله الكُبر الكُبر يراد به أن يقدم الأكبر في السن ، وهذا من الآداب أن وصف السن معتبر في التقديم في وجوه الإكرام والآداب ، لحديث قال رسول الل عليه وسلم " أمرني جبريل أن أقدم الأكابر"¹⁸⁹

العبادات الإسلامية:

إن الإنسان في حوجة شديدة إلى التمتع بالتقرب إلى الله عزّوجلّ - فإن العبادات سبب لتحصل عليه - وإن لها حظاً وافراً في الدين الإسلامي - لقد نطق بها القرآن الكريم وقام بها

¹⁸⁴ مسلم ابن حجاج القشيري، صحيح مسلم، بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، (الناشر، دار إحياء التراث العربي)، حديث: ٦٥٨

¹⁸⁵ أبو عبدالله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، محقق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: الناشر، دار الحديث، ط ١، ١٩٩٥م)، ١: ٣١

¹⁸⁶ مقامات الحريّ، ١٩٣

¹⁸⁷ أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد، المعروف بابن أبي الدنيا، كتاب الأولياء، (الناشر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٣هـ)، ٦٤

¹⁸⁸ مقامات الحريّ، ١٣٨

¹⁸⁹ أبو عبدالله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، محقق أحمد محمد شاكر، (القاهرة: الناشر، دار الحديث، ط ١، ١٩٩٥م)، حديث: ٦٢٢٦

النبي صلى الله عليه وسلم وأما المسلمون قد كلّفوا باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم فيها فهذا الحريريّ زين بذكرها مقاماته متأثراً بالقرآن الكريم والحديث الشريف-

الصلاة:

إن الصلوة بين العبد و ربه علاقة و طيدة و رابطة قوية ، وبها ترفع الأفوام و تخفض وإن لها منزلة رفيعة في الإسلام - فإنها لسبب استنزال رحمة الله و نصرته و عليها قوام الإسلام - فهذا الحريريّ يرغب في ذكر عماد الدين في المقامة الفرضية بقوله "ثم أخذ يُفتن بحكاياته ، ويشمط مضحكاته بمبكياته ، إلى أن عطس أنف الصباح ، وهتف ذاعي الفلاح فتأهّب لإجابة الداعي" ¹⁹⁰ ولقد اشار الحريريّ في المقامة المغربية إلى حضوره في صلاة المغرب قائلاً "حكى الحارث بن همام، قال: شهدت صلاة المغرب، في بعض مساجد المغرب. فلما أدّيتها بفضلها، وشفعتنا بنفلها، أخذ طربي رفقةً قد انتبذوا ناحيةً ، وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون كأس المنافثة، ويقتدحون زناد المباحثة. فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد، أو أدبٍ يستزاد. فسعيت إليهم، سعي المتطقل عليهم" ¹⁹¹ وإنما يجول في خاطر الحريريّ تزيين مقامته بأهم فريضة المسلمين فنراه في المقامة السنجارية يذكر عن جمع الصلاة المفروضة والصلاة النافلة بقوله " فصادف نزولنا سنجار، أن أولم بما أحد التجار. فدعا إلى مآديه الجفلي ، من أهل الحضارة والفالاة. حتّى سرت دعوته إلى القافلة ، وجمع فيها بين الفريضة والنافلة" ¹⁹²

إن نفس الحريريّ تتوق إلى ذكر الصلاة - فإنه يذكر عن أداء الصلاة في المقامة الوبرية بقوله "وسريتُ ليلتي جمعاء ، أحوب البيداء ، وأقترني كل شجرا ومرداء إلى أن نشر الصبح راياته ، وحيعل الداعي إلى صلاته . فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة" ¹⁹³

فهذا الحريريّ يستفتح المقامة التفليسية بذكر شدة رغبته في المواظبة والمحافظة على الصلاة قائلاً "حكى الحارث بن همام، قال : عاهدت الله تعالى مذ يفعت، أن لا أوخر الصلاة ما استطعت. فكنت مع جوب الفلوات، وهو الخلوات، أراعي أوقات الصلاة، وأحاذر من مأثم الفوات. وإذا رافقت في رحلة، أو حللت بجلّة، مرحبت بصوت الداعي إليها، وأقتديت بمن يحافظ عليها، فاتفق حين

¹⁹⁰ مقامات الحريريّ، ١٢٢

¹⁹¹ أيضاً، ١٥٧

¹⁹² أيضاً، ١٧٦

¹⁹³ أيضاً، ٢٧١

دخلت تفليس ، أن صليت مع زمرة مفاليس ، فلما قضينا الصلاة، وأزمننا الانفلات ، برز شيخ بادي اللقوة ، بالي الكسوة والقوة"¹⁹⁴

فضيلة الصلاة مع الجماعة:

يستفتح الحريّ المقامة المغربية بذكر صلاة المغرب صلاحها في بعض المساجد بقوله " شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب قلما أديتها بفضلها وشفعتنا بنفلها"¹⁹⁵ ففي هذا النص يبدو أثر الحديث لما ورد في فضل صلاة الجماعة قول الحريّ " أديتها بفضلها يقصد به أنه صلاحها في الجماعة وهي مما لا شك ولا ريب أفضل من صلاة الفدّ وهذا مانراه في الحديث "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفد بسبع وعشرين درجة"¹⁹⁶

الزكاة:

لا غرابة أن الزكاة من أهم دعائم الإسلام وإنما لفريضة على صاحب الثروة - فهذا الحريّ في المقامة الصورية يبيّن منفعة الزكاة و شرعها بكلمات بليغة بقوله " الحمد لله المبتدىء بالإفضال ، المبتدع للنوال ، المتقرب إليه بالسؤال ، المؤمل لتحقيق الآمال، الذي شرع الزكاة في الأموال ، وزجر عن نحر السؤال . وندب إلى مؤاساة المضطر، وأمر بإطعام القانع والمعتّر. ووصف عباده المقربين، في كتابه المين. فقال: وهو أصدق القائلين : "والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم " ، أحمده على ما رزق من طعمة هنية ، وأعوذ به من استماع دعوة بلاتية ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له إلهما يجزي المتصدقين والمتصدقات، ومحقق الربا ويربي الصدقات"¹⁹⁷

الحج:

فإن الحريّ في المقامة الرملية يذكر عما جال في خاطر الحارث بن همام عن تأدية الحج - فقد شدّ الرحال إلى البيت الحرام - ثم يورد لنا خطبة فصيحة عن أعمال الحج على لسان أبي زيد السروجي قائلاً " وقال: يا معشر الحجّاج ، الناسلين من الفجاج ، أتعقلون ما تواجهون ، وإلى من تتوجهون ؟. أم

¹⁹⁴ مقامات الحريّ، ٣٥٢

¹⁹⁵ أيضاً، ١٥٧

¹⁹⁶ محمد بن عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و سنته وأيامه، (دمشق: الناشر، دار ابن كثير، سنة الطبع ٢٠٠٩م)، حديث: ٦٢٧

¹⁹⁷ مقامات الحريّ، ٣١٢

تدرون على من تقدمون، وعلام تقدمون؟ أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل ، وقطع المراحل " وأتخاذ الحامل، وإيقار الزوامل! أم تظنون أن النسك هو نضو الأردن، وإنشاء الأبدان ، ومفارقة الولدان، والتناهي عن البلدان! كلاً! والله، بل هو اجتناب الخطيئة ، قبل اجتلاب المطيئة . وإخلاص النيّة، في قصد تلك البنيّة. وإحماض الطّاعة، عند وجدان الإستطاعة . وإصلاح و المعاملات ، أمام أعمال إليعمالات".

"فوالذي شرع المناسك للناسك ، وأرشد السالك في الليل الحالك ، ما ينقي الإغتسال بالذنوب، من الانغماس في الذنوب! ولا تعدل تعرية الأجسام ، بتعبية الأجرام . ولا تغني لبسة الإحرام، عن المتلبس بالحرام . ولا ينفع الاضطباع بالإزار، مع الاضطلاع بالأوزار . ولا يجدي التقرب بالخلق، مع التقلّب في ظلم الخلق. ولا يرحض التنسك في التقصير، درن التمسك بالتقصير . ولا يسعد بعرفة، غير أهل المعرفة".

" ولا يزكو بالخيف ، من يرغب في الخيف . ولا يشهد المقام ، إلا من استقام. ولا يحظى بقبول الحجّة، من زاغ عن الحجّة . فرحم الله امرأ صفا ، قبل مسعاه إلى الصفا. وورد شريعة الرضى، قبل شروعه على الأضا - ونزع عن تلبيسه ، قبل نزع ملبوسه . وفاض بمعرفه ، قبل الإفاضة من تعريفه "198

طلب المغفرة بالحجّ المبرور:

يذكر الحريري في نهاية المقامة المكية رجاء المغفرة وتكفير الذنوب بالحجّ المبرور بقوله " فوالتي سرت أبغى حطّ الذنوب لديها"199 هذا قسم والمقسم به الكعبة فإن الذنب يحطّ عندها إذا حجّ ودعا الله كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله عليه وسلم " من حجّ قلم يرفث ولم يفسق رجوع يوم ولدته أمه"200

العقائد الإسلامية:

لا غرابة أن الحريري أكثر إيراد المفاهيم الدينية في المقامات للحريري - فهذا ما يدل على صلته الوثيقة وعلاقته الوطيدة بالدين - وكذلك هناك أمر هام يشار إليه بأن الحريري نشأ في بيئة ذات طابع ديني فهذا أمر طبيعي بأن نصوصه الأدبية لا تخلو من تأثر القرآن والحديث - فهنا سيذكر الباحث بعض أهم أماكن المقامات التي تقدّم لنا صورة أدبية رائعة متعلقة بالعقائد الإسلامية-

198 مقامات الحريري، ٣٢٠

199 أيضاً، ١٤٣

200 محمد بن عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله عليه وسلم و سننه وأيامه، (دمشق: الناشر، دار ابن كثير، سنة الطبع ٢٠٠٩)، حديث: ١٢٧٤

الإيمان بعظمة الله:

إنما يدرك الباحث بإمعان النظر في مقامات الحريريّ إيمانه القويّ و عقيدته العالية بوحداية الله سبحانه و تعالى و عظمته وكبريائه- لقد أكثر ذكر محامد الله و صفاته في مقامات عديده فكما ذكر الحريريّ في المقامة الواسطية الخطبة البليغة على لسان أبي زيد السروجي "وقال: الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، مصور كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطح المهاد، وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار، ومسهل الأوطار، وعالم الأسرار ومدركها، ومدمر الأملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكرها، ومورد الأمور ومصدرها. عم سماحه وكمل، وهطل ركامه وهمل، وطاوع السؤل والأمل، وأوسع المرملة والأرمل. أحمده حمداً ممدوداً مداه، وأوحده كما وحده الأوا، وهو الله لا إله إلا لله لا لامم سواه، ولا صادع لما عدله وسواه" ²⁰¹

فإن الحريريّ يذكر على لسان أبي زيد رجوعه إلى الله معترفاً بصفاته لإجابة الدعوات ومما لاشك ولا ريب أنه يقبل التوبة عن عباده من السيئات " أن لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة، وأن سلاح الناس كلهم الحديد، وسلاحكم الأدعية والتوحيد. فقصدتكم أنضي الرواحل، وأطوي المراحل، حتى قمت هذا المقام لديكم، ولا من لي عليكم. إذ ماسعيت إلا في حاجتي، ولا تعبت إلا لراحتي، ولست أبغي أعطيتكم، بل أستدعي أدعيتكم ولا أسألكم أموالكم، بل أستنزل سؤالكم. فأدعوا إلى الله بتوفيقى للمتتاب، والإعداد للماب، فإنه رفيع الدرجات، مجيب الدعوات، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات" ²⁰²

البعث بعد الموت:

ان حياة الآخرة لشأناً عظيماً فكل مؤمن يعتقد بأن يوم القيمة هو موعد الحساب وسيقوم الله بجزاء المؤمنين الموحدين بالجنة والكفار والمشركين بالنار - فهذا الحريريّ يقدم لنا موعظة عن عاقبة الآثمين الغافلين المتمتعين بالملاهي رائعة التعبيرات بقوله " الله الله رعاكم الله، إلام مداومة اللّهو، ومواصلة السّهو؟ وطول الإصرار، وحمل الأصار؟ وأطراح كلام الحكماء، ومعاصاة إلى السماء؟ أما الهرم حصادكم، والمدر مهادكم!؟ أما الجمام مدرركم، والصّراط مسلككم! أما السّاعة موعدكم، والسّاهرة موردكم! أما أهوال

²⁰¹ مقامات الحريريّ، ٢٩٩

²⁰² أيضاً، ٥٥٥

الطامة لكم مرصدة؟ أما دار العصاة الحطمة المؤصدة ، حارسهم مالك ، ورواؤهم حالك ، وطعامهم السموم، وهوؤهم السموم؟! لا مال أسعدهم ولا ولد ، ولا عدد جماهم ولا عدد²⁰³ ويرى الباحث الحريري يذكر مآل الصالحين وما يلقون من نعيم الجنة في المقامة السمرقندية بقوله "ألا رحم الله امرأ ملك هواه ، وأم مسالك هداؤه ، وأحكم طاعة مولاه، وكدح لروح مأواه ، وعمل مادام العمر مطوعاً، والدهر موادعاً ، والصحة كاملة، والسلامة حاصلة، وإلا دهمه عدم المرام، وحصر الكلام ، وإلمام الألام ، وحموم الحمام ، وهذو الخواس ، ومراس الأرماس. آهأ لها حشرة المها مؤكد، وأمدها سرمد، وممارسها محمد ، مالوله حاسم ، ولا لسدمه راحم، ولا له ممأ عراه عاصم . ألهمكم الله أحمد الإلهام ، ورداكم رداء الإكرام ، واخلكم دار السلام . وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملّة الإسلام -²⁰⁴

حوصلة البحث والتوصية:

لقد تحقّق بأن القرآن الكريم و الحديث الشريف هما مصدران أساسيان و عينان تجريان يتخذهما هؤلاء الكتّاب الأفاضل لهم منهالاً و في كل حين لحلّ ما يعترض سبيلهم من الإشكاليات ملجأً و في كل مقام لتأثير مقالهم مسلكاً-

فهذا العمل الأدبي يشهد لنا بأن الأديب مهما بلغ ذروة المجد الأدبي فإنه في حوجة شديدة إلى تزويد أدبه بنصّ القرآن و الحديث لما أنهما في أوج الفصاحة و البلاغة-لقد قمت بالتركيز على الأماكن في المقامات التي ذات أثر القرآن و الحديث وهذا لإظهار براعة فنية لدى الأديب الأريب في استخدام التراث الديني و كيف يجعل مفاهيم مقاماته أو ثق و أقرب إلى معرفة الناس و أشد و قوعاً في قلوبهم- فإنني توصلت إلى نتيجة هامة بدراستي لهذا الموضوع وهي، أن الحريري على رغم مكانته المرموقة في الأوساط الأدبية كان مشغوعاً بحب القرآن الكريم و الحديث الشريف- وهذا ليكون كلامه أشد تأثيراً على المجتمع-

وأما توصية الباحث للبحّاث وأهل العلم الاعتناء بالنهل من عيون اللغة العربية العذبة التي لا تحف ولا تنضب- ختاماً أجسر على القول بأن دراسة الأدب لأيّ أديب كان من أهل الإسلام لا تزال في حاجة ماسّة إلى الدراسة التي ينبعث منها أثر القرآن الكريم و الحديث و قلما يتجه فرسان البحث إلى هذا الميدان العريق و بالله التوفيق والسداد و عليه توكلت و إليه أنيب-

²⁰³مقامات الحريري، ٢٨٨

²⁰⁴أيضاً، ٢٨٩